الفصل الثاني

وقد خلقكم أطواراً

* ثم خلقنا النطفة علقة
* فخلقنا العلقة مضغة
* ثم أنشأناه خلقاً آخر
* في ظلمات ثلاث
* نحن نرزقهم

obeikandl.com

obeikandl.com

ثمَّ خلقنا النطفة علقة

تَقْدُمُ (التوتة ـ Morulla) على الرحم.

وما يلبث جوفها أن يمتلىء بسائل، فتغدو عندئذ ما أطلق عليه العلماء اسم (الكرة الجرثومية ـ Blastula).

وهـا هي ذي الكـرة الجـرثـومية تنتظر في الرحم ما ستصنع بها يد القدرة!

تأمل تلك الأفانين من عجائب الإبداع، إذ تُمضي (الكـرة الجرثومية ـ Blastula) داخل الرحم بضعة أيام، تتحسس لنفسها مكاناً في بطانة الرحم تستقر فيه، غالباً ما يكـون الجـدار الخلفي في النصف العلوي للرحم، ثم تنزع عن نفسها ـ ذات لحظة ـ جدارها الشفاف، مطلقة خمائر أودعتها يد القدرة لهذه اللحظات، تدمر وتذيب في

موضع الملامسة غشاء بطانة الرحم، وتمتص ذوب تلك الخلايا وما فيه من غذاء، وتُنشِب في جدار الرحم زغابات تمـدها من خلاياها السطحية تساعدها على العلوق في جدار الرحم، فإذا هي تنغرز فيه وتعلق.

وإذا المتأمل في لفظ العلقة في معاجم اللغة يجد أن لفظ العلقـة يُطلَق على كل ما ينشب ويعلق، تماماً كما تفعل العلقة في جدار الرحم!

● العلقـــة

وإذا العلقة تمدّ زغابات أخرى من خلاياها السطحية التي أطلق العلمـــاء عليهـــا اسم (الخـلايا المغـذية ـ Trophoblast) تمضي في جدار الرحم طلباً للغذاء، حتى تصل إلى الأوعية الدموية، فتفتحها، فإذا بِرَكٌ تمتلىء بدم الأم تنشأ حول تلك الزغابات، وإذا العلقة تحاط بالدم من كل جانب، حتى تبدو للعين المجردة كأنها كتلة من الدم المتخثر، ممـا حدا بالمفسرين أن يفسروا العلقة بالدم الغليظ المتجمد، كما بدت لأعينهم. وإذا تلك الزغابات تنمـو حتى تغدو خملات ذات شعيرات دموية تسبح في تلك البرك. وإذا هي المشيمة تنشأ، ومعلاق يتعلق فيه الجنين يتحـول فيما بعد إلى حبل سُرّي يستمد الجنين عبره الغذاء والأكسجين ومواد المناعة ضد الأمراض ويطرد عبره المخلفات الضارة والمخلفات الزائدة.

أنّى لهم أن يجحـدوا بأن صفة العلوق هي أبرز ما يميز هذا الطور من أطوار خلق الإنسان؟!

وأنّى لهم أن يغاثوا من حيرة تنهش وجدانهم، ما لم يؤمنوا بأن هذا القرآن ما هو إلا كلمات تلقاها محمد عمن خلق الخلق فأبدع؟!

إذ أنّى لمحمد بن عبد الله، وأنّى للبشرية كافة، معرفة حقيقة العلوق في خلق الإنسان، قبل أربعة عشر قرناً من الزمان؟!

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ [القيامة: ٣٦ - ٣٨].

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١ - ٢].

يقول العلماء:

ما تلبث (الكرة الجرثومية)، في اليوم الثالث بعد

العلوق، أن تنفذ بأكملها تقريباً داخل جدار الرحم وتطمر نفسها فيه وتغدو محاطة ببرك من الدم من كل جانب، وسرعان ما تُقْفَل الفتحة التي نفذت منها الكرة الجرثومية بجلطة دموية ثم بخلايا طلائية من غشاء الرحم.

هل في وسع المتأمل في الآية الكريمة ٨ من سورة الرعد ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ﴾ إلا أن يهتف بدهشة وخشوع: سبحان الله؟!

* * *

بأية معرفة مركوزة فيها تمتنع الغدة النخامية في المخ عن إفراز الهورمونات التي تحضّ المبيض على إنضاج بويضات جديدة، حتى لا يتم حمل فوق حمل، وحتى يمتنع الطمث خشية أن يجرف الطمث العلقة ويودي بالحمل؟!

كيف لا يدهشهم هذا التكامل العجيب الذي يجدونه في خلق الإنسان أينما التمسوه؟!

وأنى لهم أن يدركوا الغاية من هذا التكامل، وهم ينظرون إلى الإنسان وإلى نواميس الحياة جزئياتٍ مبعثرةً ونتفاً بلا رباط؟!

يقول العلماء:

إن الجسم البشـــري، كلمـا اقتحمـه جسم غريب كالجراثيم وسواها، يستنفر جهاز المناعة فيه، من كريات الدم البيض والأجسام المضادة، فتلتهم الكريات البيض الجسمَ الغـريب ثم تفـرز عليه خمـائر تحطمه ثم تطرد بقـاياه، وتُبـطل الأجسـامُ المضادة أذى الجسم الغريب بالإتحاد معه أو بالإلتصاق به أو بتذويبه أو بترسيبه. وإن خاصية الجسم البشري هذه في رفض كل جسم غريب يقتحمه، أجبرت الأطباء ـ الذين يزرعون للمرضى أعضاءً بشريةً كالقلب والكلية ـ على تثبيط جهاز مناعة الجسم.. بالعقـــاقير، سنـوات طويلة، يروِّضـون خلالهـا الجسم البشري على قبول العضو المزروع وعدم رفضه!

أفلا يسألون أنفسهم، وهم يرون بين أيديهم عجائب القدرة في خلق الإنسان، كيف لا يستنفر جسم الأمّ جهاز المنـاعة فيه، وكيف يأبى أن يهاجم النطاف وأن يحضّ الرحم على طرد الجنين والمشيمة، وكلها فيه أجسام غريبة؟!

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عليْها وهُم عنْها مُعْرِضُون﴾ [يوسف: ١٠٥].

فخلقنا العلقة مضغة

تميزت العلقة إذن إلى طبقة سطحية وطبقة باطنية. ثم نشبت خلايا الطبقة السطحية في جدار الرحم وانغرزت فيه، لتضمن للعلقة علوقها إلى الجدار، ولتجلب لها الغذاء عبر زغابات تتطور فيما بعد إلى مشيمة.

وإذا بيد القدرة تمتد، بعد ذلك، إلى الطبقة الباطنية في العلقة، فإذا هي مضغةً مخلّقةٌ يخلق الله منها الجنين وأغشيته، وإذا الطبقة السطحية من العلقة مضغةً غير مخلّقة يخلق الله منها المشيمة، وإذا هذا المعنى هو أحد معاني الآية الكريمة ٥ من سورة «الحج» ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾.

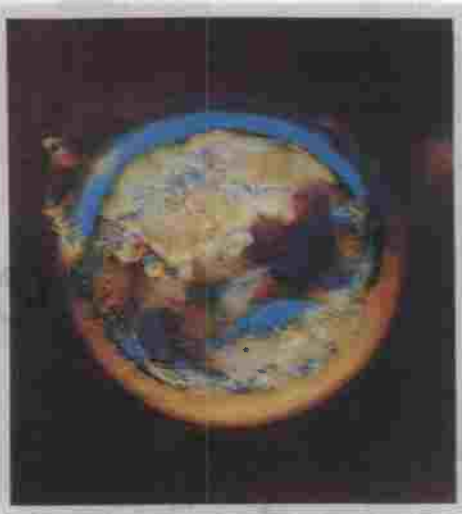

● مضغة مخلّقة وغير مخلّقة

ثم تمتد يد القدرة إلى المضغة المخلّقة فتجعلها على هيئة قرص من ثلاث وريقات مختلفة :

- وريقة خارجية Ectoderm
- وريقة وسطى Mesoderm
- وريقة باطنية Endoderm

ولقد تروعك صورة المضغة في بداية عهدها، إذ تتأملها، فإذا هي قطعة من اللحم كأن أسناناً انغرزت فيها ولاكتها ثم قذفتها!

● المضغة بعد ٨ أيام من الإخصاب

وتظل هذه المضغة، حتى نهاية الأسبوع الرابع، بلا سمة بشرية ولا هيئة، لا يتميز فيها عضو ولا جهاز. ثم يشاهَدُ فيها في الأسبوع الرابع شق يُطوى فيه أنبوب عصبي ينمو ليغدو فيما بعد الحبلَ الشوكي والدماغ، بينما يبدو الطرف الآخر من المضغة على هيئة ذنب مروّس!

● المضغة في بداية التشكّل البشري

ثم يحتار العقل البشري ويذهل، بما تصنع يد القدرة في تلك الـوريقـات الثـلاث، من الإبـداع والقـدرة والحكمة، إذ تنشىء منها، منذ الأسبوع الخامس، أعضاءَ الجسم وأجهزتَه المختلفة، لتغدو هذه المضغة المخلقة، في نهاية الشهر الثالث من الحمل، جنيناً مكتمل التخلق!

● جنين مكتمل التخلق عمره ٣ أشهر

وما تكاد المضغة تبلغ من العمر ٥ أسابيع، منذ بداية الإخصاب، بينما طولها ما يزال نحو سنتمتر واحد فحسب، حتى تتاح للأطباء مشاهدتُها، نقطةً لامعةً، على جهاز الموجات فوق الصوتية، ثم تغدو الصورة في الأسبوع السادس جليّة لأعينهم، ويشاهَدُ القلبُ حينئذ وهو يخفق بسرعة!

● مضغة عمرها ٥ أسابيع وطولها سنتمتر واحد

أفلا يسألون أنفسهم، وهم يبصرون بين أيديهم خلق الإنسان، كيف يمكن لخلايا المضغة ـ Embryoblast المتماثلة تماماً أن تمنح ثلاث وريقات مختلفة عن بعضها البعض (الوريقة الخارجية والوسطى والباطنية)، بينما العلم يؤكد أن الخلية الحية عندما تنقسم تمنح خليتين متماثلتين تماماً في البناء والخصائص والوظائف؟!

يحدِّقون في الوريقات الثلاث بأعينهم، يستقرؤونها مرة بعد مرة، وكأنهم لا يصدقون!

ثم تغشاهم الحيرة من جديد، إذ يبصرون بين أيديهم الخلايا المتماثلة تماماً في كل وريقة، وهي تمنح أجهزة مختلفة عنها في بنائها وخصائصها ووظائفها..

فالوريقة الخارجية تنشىء الجهازَ العصبي وبشرة الجلد وما فيه من شعر وأظافر وغدد عرقية ودهنية، والوريقة الوسطى تنشىء القلب والدم والأوعية الدموية واللمفاوية والعظام والعضلات والجهاز البولي والتناسلي وبعض الغدد الصماء، والوريقة الباطنية تنشىء جهاز التنفس وجهاز الهضم وبعض الغدد الصماء!

لن ينجيهم من حيرتهم التي تفترس وجدانهم أبداً، إلاّ أن يؤمنوا بأن هذا كله لا يمكن إلاّ أن يكون ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ**﴾.

يقول العلماء:

إن عظام الأطراف العلوية والأطراف السفلية تظهر بجلاء في الأسبوع السادس من الحمل. وإن أول علامة على ظهور عضلات الأطراف تبدو في الأسبوع السابع.

أرأيت إلى الآية الكريمة ١٤ من سورة «المؤمنون» ﴿**فخلقْنا العَلَقَة مُضْغَةً فَخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظَامَاً فكسوْنا العِظام لحْمَاً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقَاً آخرَ فتَبارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الخالِقينَ**﴾، وإلى الآية الكريمة ٢٥٩ من سورة البقرة ﴿**وانْظُرْ إِلى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمَاً**﴾؟!

أنّى لمحمد بن عبد الله، معرفةُ علم الأجنة، حتى تُكْشَفَ له الحقيقةُ العلمية الراسخة بأن العظام تخلق أولاً ثم يخلق اللحم (العضلات) فيكسوها؟!

لن ينقذهم من ريبهم الذي يتقلبون فيه، إلاّ أن يؤمنوا بأن هذا القرآن، ما هو إلا كلمات تلقاها محمد عمن خلق الخلق فأبدع!

ثمَّ أنشأناه خلقاً آخر

﴿ثُمَّ خلقْنا النُّطْفة عَلقةَ فخلَقْنا العَلقةَ مُضْغةً فخلقْنا المُضْغة عِظاماً فكَسَوْنا العِظامَ لَحْماً ثُمَّ أنْشأْناهُ خلْقاً آخرَ فتبارك اللَّهُ أحْسَنُ الخالِقين﴾ [المؤمنون: ١٤].

لو يتدبر هذا الإنسان، لأبصر أية عجيبة في خلقه من نطفة ضعيفة، تمتد لها يد القدرة وترعاها، فإذا هي علقة فمضغة فعظام تكسى باللحم، وتُسوّى وتُصوَّر..

﴿هُو الَّذِي يُصَوِّرُكُم في الأَرْحَامِ كَيفَ يَشاءُ﴾ [آل عمران: ٦].

﴿ولقدْ خلَقْناكُم ثُمَّ صَوَّرْناكُم﴾ [الأعراف: ١١].

﴿وَصَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُوَرَكُم وَإِليهِ المَصِير﴾ [التغابن: ٣].

﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيم . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَك . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَك﴾ [الإنفطار: ٦ ـ ٨].

ثم إذا هي تغدو في نهاية الشهر الثالث، بالنفخة الربانية خلقاً آخر. إنساناً ذا خصائص متميزة، ترقى به إلى مستوى لا يبلغه ولا يقدر عليه إلاّ أحسن الخالقين!

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَة﴾ [السجدة: ٨ ـ ٩].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾..

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

في ظلمات ثلاث

﴿يَخْلُقُكُم في بُطُونِ أُمَّهاتِكُم خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ [الزمر: ٦]

حَسْبُ المتأمل، من الإعجاز في هذه الآية الكريمة، أن يقف بدهشة وخشوع، عند العبارة القرآنية ﴿يَخْلُقُكُم في بُطُونِ أُمَّهاتِكُم خَلْقاً مِنْ بَعدِ خَلْقٍ﴾.

فأنّى لمحمد بن عبد الله، قبل أربعة عشر قرناً، معرفة علم الأجنة، حتى تكشف له هذه الحقيقة العلمية الراسخة، بأن عملية الخلق تتم على أطوار متلاحقة، في بطون الأمهات.. من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام فالعضلات إلى الخلق الذي تتميز فيه عناصر البشرية؟!

بل هي كلمات، تلقاها محمد عمن خلق الخلق فأبدع!

* * *

أما الظلمات الثلاث، فقد اجتهد حول المقصود بها علماء كثيرون، ولعل بعضهم أصاب وبعضهم أخفق.

ولقد أرى بأن هذه الظلمات الثلاث قد تكون:

١ ـ ظلمة تلك الأغشية (غشاء الأمنيون وغشاء الكوريون والغشاء الساقط) التي تتكىء على بطانة الرحم وتحيط بالجنين.

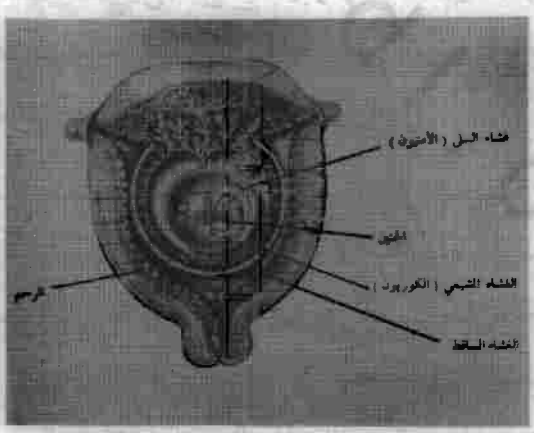

● الأغشية المحيطة بالجنين

ـ أمـا (غشـاء الأمنيون ـ Amnion) فيحيط بالجنين مباشرة ويمتلىء بسائل يفرزه ثم يمتصه ليتجدد باستمرار. ولقد يبلغ حجم هذا السائل في الشهر السابع لتراً ونصف اللتر ثم يتناقص حتى يغدو لتراً واحداً قبيل الولادة. وإنك لن تعجز أن تبصر ما في هذا السائل من إبداع، وإنه لن يستعصي عليك أن تدرك ما فيه من حكمـة! فهو يغذي الجنين بمـا فيه من مواد بروتينية ومـواد سكـرية وأمـلاح معدنية، ويتيح للجنين الحركة داخل الرحم فإذا الجنين يتقلب ويمرح يمنة ويسرة ورأساً على عقب، ويقي الجنين من الصدمات المفاجئة التي قد تعرض للأم أثناء الحمل، ويمنع غشاءَ الأمنيون أن يلتصق بالجنين مما قد يؤدي إلى التشـوهـات الخلقية، ثم إنه يوسع فوهة عنق الرحم بما يعرف بجيب المياه الذي ينبثق قبيل الولادة.

ـ أمـا (غشـاء الكـوريون ـ Chorion) أو الغشـاء المشيمي فهـو يلي غشـاء الأمنيون، ويتكون بعد تكون النـطفـة الأمشـاج، وتنمـو فيه خمـلات تمتص الغـذاء والأكسجين ومـواد المنـاعة للجنين وتخلص الجنين من المخلفات الضارة والمخلفات الزائدة عن حاجته.

ـ وأمـا (الغشـاء السـاقط ـ Decidua)، فهـو ثالث الأغشية المحيطة بالجنين، ويتكون من الغشاء المخاطي الذي يبطن الرحم. وإنك لتذهل من عجائب يد القدرة وهي تمتد إلى هذا الغشاء فتعدّه قبيل خروج البويضة من المبيض، فينمو استعداداً لاستقبال البويضة الملقحة، ثم تزيد ثخانته أثناء الحمل أضعافاً مضاعفة، ويزداد ما فيه من الغدد والأوعية الدموية.

فإذا لم تحمل المرأة، فإن هذا الغشاء الساقط يسقط مع دم الحيض، وإذا حملت فإنه يسقط مع دم النفاس مصاحباً لغشاء الأمنيون وغشاء الكوريون.

٢ ـ ظلمة الرحم الذي تستقر فيه تلك الأغشية.

٣ ـ ظلمة البطن الذي تستقر فيه الرحم.

وما خفي عني من مراد الله بكلماته، فالله به أعلم!

نحن نرزقهم

حَسْبُ المتـأمـل، في خلق الجنين، أن يرى من الإبداع ما هيأت يد القدرة من رزق للجنين، يأتيه رغداً في كل طور من أطوار حياته، مما يضمن له الحياة ونفاذ القدَر الذي قرره الحق جل جلاله!

تتغذى البويضة الملقحة، أثناء رحلتها من بوق (قناة الرحم) إلى الرحم، على ما اختزن فيها من غذاء!

أهي الصـدفـة جعلت البـويضـة الملقحة. .النطفة الأمشاج بعد وصولها إلى الرحم، أم هو الله ﴿**الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾ [طه: ٥٠] جعلها تقترب حتى تلامس بطانـة الـرحم، ثم تفرز خلاياها السطحية التي أطلق العلماء عليها اسم (الخلايا المغذية ـ **Trophoblast**)

خمائرَ أودعتها يد القدرة لهذه اللحظات، تدمر وتذيب في موضع الملامسة خلايا بطانة الرحم، وتمتص ذوبَ تلك الخلايا وما فيه من غذاء، وتَنْشِب في بطانة الرحم زغابات تمدها من خلاياها السطحية، تساعدها على العلوق في جدار الرحم؟!

ومن الذي يلهم (العلقة) سوى الله ﴿**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾ [الأعلى: ٢ ـ ٣] أن تمدّ زغابات أخرى من خلاياها السطحية، في جدار الرحم، طلباً للغذاء، حتى تصل إلى الأوعية الدموية في جدار الرحم، فتفتحها، فإذا بِرَكٌ تمتلىء بدم الأم تنشأ حول تلك الزغابات، وإذا الزغابات تنمو حتى تغدو (خملات) ذات شعيرات دموية تسبح في تلك البرك، وإذا هي المشيمة تنشأ، ثم تنمو حتى تغدو في نهاية الحمل ذات قطر من ١٦ ـ ٢٠ سنتمتراً ووزن يقارب ٥٠٠ غرام، وإذا هي ذات وجهين.. وجه أملس من جهة الجنين تبدو فيه الأوعية الدموية، ووجه خشن من جهة الرحم مكون من حوالي ٢٠ فصّاً، وإذا حبل سُرّي طوله ٥٠ سنتمتراً ينطلق من منتصفها من جهة الجنين ويصل بين المشيمة والجنين عند السرّة، ويمتد فيه شريانان ووريد واحد، وإذا الدم من

الجنين يغـدو عبـر شريان الحبـل السـرّي إلى خملات المشيمـة، حيث تُقْـذَفُ ـ عبـر غشـاء الخمـلات ـ المخلفاتُ الضارة والمخلفات الزائدة عن حاجة الجنين في دم الأم المتجمـع في الجزر، ثم تمتص الخملاتُ المـوادَ الغذائية والأكسجين ومواد المناعة ضد الأمراض والأوبئة، لتنطلق إلى الجنين عبر وريد الحبل السّري؟!

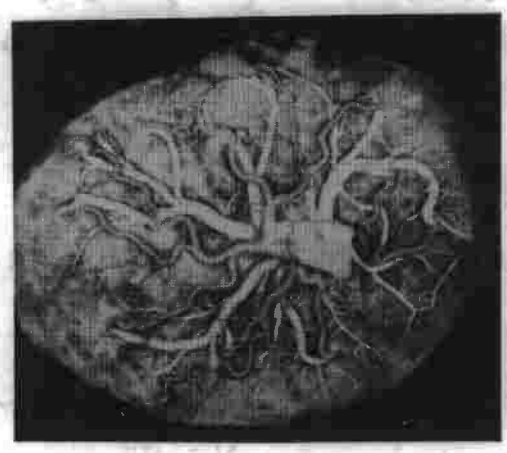

● المشيمة من جهة الجنين

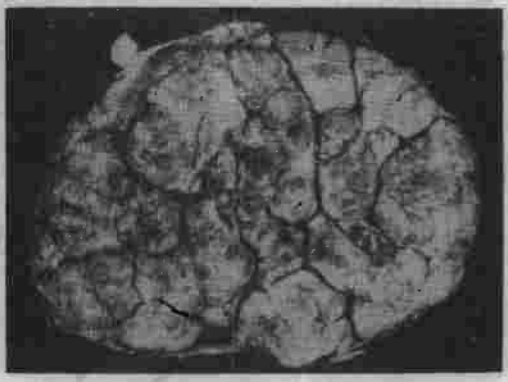

● المشيمة من جهة الرحم

من أين لهذه الخملات هذا التمييز الدقيق، إذ تقذف من دم الجنين ما يضره وتمتص للجنين ما ينفعه؟!

أهي الصدفة تفعل كل هذا؟!

أم هو الله ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] أودع الخملات هذا التمييز الذي لا يخطىء؟!

فإذا المشيمة تؤدي للجنين وظيفة جهاز الهضم وجهاز التنفس والجهاز البولي، وإذا هي فوق ذلك تفرز من الهورمونات اللازمة لاستمرار الحمل ما يهدىء الرحم ويمنع فيها التقلصات العنيفة وما يُعدّ الثديين لإفراز اللبن والرضاعة!

ثم هم يقولون صدفة!

ولو أنصفوا لأبصروا الحكمة، بين أيديهم، أينما التمسوها!

ولو أنصفوا لعجزوا أن يدركوا أي تفسير لنشأة المشيمة دائماً إما على الجدار الأمامي أو على الجدار الخلفي لجسم الرحم، وهي تعلو عن عنق الرحم مسافة مناسبة، إلاّ أن يكون ذلك من صنع يد مبدعة حكيمة، تستوقف المتأمل في دهشة وخشوع!

أرأيت لو أن المشيمة نشأت في موضع منخفض من الرحم يسبق الجنين، إذن لأغلقت مدخل الحوض كله أو بعضه، أمام الجنين، ولغدت الولادة عسيرة أو مستحيلة لا تتم إلاّ بالجراحة!

ولقد ينسلخ جزء من المشيمة، بتقلصات الجزء السفلي من الرحم أثناء المخاض والولادة، فيؤدي ذلك إلى النزيف الذي قد يودي بحياة الأم وربما يذهب الاختناق بحياة الجنين!

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان: ٢].

* * *

لو يتدبر الإنسان لرأى كم في نفسه من آية ما تنفك تدعوه ليبصر، ولأدرك كم أوتي من آلاء ما تفتأ تدعوه ليشكر!

أم يحسب الإنسان أنما خُلق عبثاً، يمضي العمر كله من متاع إلى متاع، ثم لا يُردُّ إلى الله ليسأله عما أوتي من آلاء؟!

فيم إذن خُلق الإنسان، إن لم ينجز فطرة ربه فيه؟!

وفيم إذن أوتي ما أوتي من آلاء، إن لم تكن وسيلة إلى مرضاة الله، ولم تؤد إلى إدراك الغاية الكبرى التي من أجلها خلق الإنسان ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ**﴾ [الذاريات: ٥٦]؟!

ويا رُبَّ لحظات عند ربك يوم القيامة، تطوي بين ثناياها من الغبطة والنعيم ما يفوق لذة العمر كله، لو كانوا يعلمون!